بدم المسيح » وقال ايضاً « اني ازيدهم باسم الرب الههم وباسمه يتفاخرون » . وبهذا يعلم الزبور (٨٨ : ١٦) قائلاً وهو يناجي مخلّص الكل : « يا رب بضيائك يسلكون وباسمك يبتهجون طول النهار وبعدلك يشتغلون وذلك لانك انت فخر قوتهم » وقال ايضاً على لسان اشعيا النبي : « اني اعلّمهم ويتكاثرون والذين في البُعد يذكرونني » وتجد النبي ارميا صارخاً ايضاً الى الله وقائلاً : « انت يا رب قوّتي وموئلتي وملجأي في يوم حزني . اليك تأتي الامم من اقطار الارض ويقولون باطلاً اتخذ آباؤنا الاصنام التي ليست فيها منفعة » فقد نهض كثيرون واقبلوا الى الايمان وارتقوا من العبادة الناموسيّة الى الروحيّة وعوض روح الضلالة الذي كان فيهم اضحوا شركاء الطبيعة الالهيّة وأهلوا لموضع النبوّة راجين اقتناء المدينة العالية اعني مُلك السماء بتعطّف الاهنا وفادينا يسوع المسيح الذي له ولابيه والروح قدسه المجد والتسبيح الآن والى الابد آمين

آفات السيول وطرق علاجها

للاب رفائيل نخله اليسوعي

لغتنا العربيّة الجميلة حافلةٌ بالاستعارات المأخوذة عن السيول ، ومنها يُستدَلّ على ان العرب اختبروا اضرارها الجمّة فأطلقوا التعابير المختصّة بها على غيرها من الشرور والآفات الكبرى . نكتفي بهذا المقام بذكر الشيء اليسير من تلك المجازات المستحسَنة المأنوسة حتى في ايامنا . أما اعتادت الجرائد مثلاً التكلّم عن « الاجحاف بالحقوق » في المقالات التي تكشف بها جور الحكّام وتبسط ظلامات الرعايا ؟ والحال ان لفظة « اجحاف » وُضعت في الاصل اللغوي للدلالة على اضرار السيل بجانبَي مسيله وإتلافه التدريجي لهما . ويؤيد ذلك المعنى التعبيرُ الجاري نعني « السيل الجُحاف » او مجرّد لفظة « جحاف » وهي مرادفة للسيل

هكذا ايضاً نرى العرب الاقدمين بل العصريين يشبّهون الحروب والاوبئة والمجاعات وما جرى مجراها في ازهاق الوف الارواح « بالسيل الجارف » . وانهُ ليخيّل

لنا ان صفة «جارف» لا ترد في كلام الناطقين بالضاد الّا ملازمةً للسيل ، فكأنها مختصة به دون سواها . ولا غرو لانّ السيل يجرف جانبَيْه جرفاً عنيفاً فكأنهُ مجرفة هائلة بيد جبّار اخذ على نفسهِ افناء شوامخ الجبال شيئاً فشيئاً بجرف التربة الطرية والصخور الصلدة من منحدراتها التي تمرُّ بها مجاري السُّيول

هذا والقصد من صُحفنا التالية العرض الموجز لاضرار السيول وطرق ملافاتها وفقاً لاحدث التجارب . تزفّ هذا البحث لقرّائنا اللبنانيّين في هذا الفصل الشتوي الذي تتواتر فيه السيول ولا يخفى عليهم كم جرّتهُ من الشرور على جبلهم العزيز ولاسيما بعد ان عرّته أيدٍ جاهلة او اثيمة من غابات كثيرة كثيفة كانت تقيهِ وقاية كافيةً من تلك الطامّة الكبرى . فمساهم ينتبهون بما نرويهِ الى تلافي هذه الاضرار فيصونون جبلهم العزيز من شرّها

١ اضرار السيول

يتكوّن السيل الجحاف في الجبال الغزيرة الامطار على الصفة الآتية : تسيل مياه الامطار على المنحدرات دون ان تصادف عقبةً في اندفاقها فتتجمّع بقوّة الجاذبيّة الارضيّة في الاغوار او ، بتعبير ادقّ واعمّ ، في الجهات الاشدّ انخفاضاً . ولأنّ تلك المياه ذات قوّة ميكانيكيّة عظيمة بغزارتها وسرعة اندفاعها فلا تلبث ان تحفر لنفسها مجرًى ضيّقاً في الجهات المشار اليها . وعلى توالي الامطار يتّسع ذلك المجرى تدريجاً بجرف السيل لجانبَيْه وقعره . فالسيل ينتزع من حافتي الوادي كُتَلاً كبيرة من التربة الزراعيّة المبلولة الفاقدة صلابتها ، ويسحو معها كثيراً من الحصى ، بل يجرف في بعض الاحيان عند طغيانهِ صخوراً هائلة تتدحرج نحو مجراه لعدم رسوخ الارض تحتها ومن حولها . وعلى هذا النمط لا يزال ذلك المجرى يتوسّع بهدْم جانبيه . ولعمري قد احسن من شبّههُ بالطعنة النجلاء في صدر الجبل الرحب على ان لهذه الطعنة مزيّةَ الآكلة التي لا تزال تمدُّ سيطرتها على اجزاء الجسم المجاورة الصحيحة حتى تقوّض اركانهُ بتعميم الفساد في كلّ اطرافهِ

ومما يزيد شرور السيل استفحالاً انهُ يُحدث على جهتَيْ مجراه اخاديد متزايدة متوسّعة ومحاذية لوُجهة مسيلهِ . فمتى ادرك عددُها الوافر وانتشارها النامي حدًّا معلوماً انهار

قسم عظيم من المنحدر المحيط بها بضجة هائلة متدهوراً في السيل ومسوقاً بقوة مياهه العاتية الى اسفل الوادي . اما البيوت والاكواخ بل الضيع الواقعة احياناً بقربة من ذلك السيل الجحاف فحدث عن الدمار الشامل المهدد لها على الدوام ، ولا حرج ! فبمقدار اتساع مجرى السيل وانهيار جانبيه ترى اقرب المنازل قد خلت من سكانها بل ترى شاطئي السيل خاليين من كل مظاهر الحياة النباتية فيهما والصحراء سواء رغماً من جودة التربة الجبلية وغزارة المياه المجاورة وشدة عناية الفلاحين . اما المنازل والمزارع البعيدة عن السيل فلا تلبث ان تدخل في دائرة اجحافه وتدميره ، فلا رجاء يلوح لها في المستقبل وهي كالمحكوم عليه بالاعدام المنتظر ساعته الاخيرة . ومن يحصي عدد القرى التي ذهبت ضحية السيول العرمرمية في جبال اوربة وغيرها ! حقاً ان تعدادها ووصف تفاصيل خرابها العاجل ليقتضيان المجلدات الضخمة ! ومن اغرب ما ذُكر من مثل تلك الدواهي دمار دير سكنهُ رهبان القديس مبارك في الجبل الثالث عشر ولا يشاهد منه السائح في يومنا هذا سوى اخربته وهي على حافة سيل بجبال الألب اسمه رابيو (Le Rabious)

***

تمنا حتى الآن عن الاضرار الجسيمة التي يُلحقها السيل بمنحدرات الجبال . اما التي يحدثها بانصبابه في الوادي فانها تكاد توازي الاولى وفوراً وهولاً . واليك بيان ذلك ببعض الايضاح . ان المواد الغزيرة المتنوعة التي يجرفها السيل من جانبيه — كالتربة الزراعية والحصى والصخور الكبيرة — لا يزال يجرها بقوة مياهه وبسرعة هائلة حتى يبلغ الوادي

عندئذٍ ترسب تلك المواد بينما يواصل السيل سيره وتتكوَّم تدريجاً حتى يحصل منها شبهُ تلٍّ محدب ومستدير الجوانب فلا يزال يتسع نطاقه بامتداده على ارض الوادي . وهكذا تنقص مساحة هذه الارض الصالحة للزراعة . واحياناً تبلغ تلك التلال الاصطناعية مبلغاً عظيماً فنهما ما يدرك ارتفاعهُ زهاء سبعين متراً وطول دائرته السفلى بضعة كيلومترات ! وذلك مثلٌ حيّ على مقدرة القوى المستمرة العمل في خطةٍ واحدة ، ولو كانت غير شديدة او غير سريعة

يتابع السيل سيرهُ على قمة التل المذكور حافراً عليها مجراه ومندفعاً الى ما ورائها

من الاراضي . على انه ، متى طغت مياهه ، يخرج عن ذلك المجرى فينهمر على جوانب التلّ وهو لا يزال يضخمها باحماله الصخرية والطينية وما شاكلها

خلاصة الايضاحات السابقة ان السيل مضرّ كل الضرر بالجبل حيث لا يزال يجرف منعطفَهُ وبالوادي اذ يقلّل مساحته الصالحة للزراعة ، وكل ذلك بغضّ النظر عن الشرور المتفاقمة التي يلحقها بساكن الناس بل باعمارهم في كثير من الظروف

والحالة هذه قد اجهد حكّام البلاد وعلماؤها قرائحهم من قديم الزمان في ايجاد انجع الوسائل لمعالجة ذلك الداء العضال وهاك نتيجة ابحاثهم وتجاربهم المتعددة

٢ تلافي اضرار السيول

ان المتجوّل في جبال الالب يلاحظ من فوره ان اذى السيول يزيد بنسبة قلّة الاشجار وغيرها من المزروعات بل والاعشاب الطبيعيّة . ولا غرو فان جذور النباتات ولاسيما الاشجار تتعمق في الارض وتتفرّع احياناً فيها الى مئات الفروع . وهذه الفروع تزيد التربةَ صلابة وتقيها آفة الانحلال والانهيار بتأثير المياه المطريّة الساقطة عليها . ثم ان غصون الاشجار والوف الالوف من اوراقها تنال حصّة وافرة من تلك المياه فتمنعها عن تبليل الصعيد ، اما الحصة الاخرى فانها تنقص سريعاً بداعي اصطدامها المتواتر بالاغصان والاوراق ومتى ادركت الارض لا تكاد تؤثر فيها تأثيرَ انحلال وذلك للاسباب الآتية : (الاول) ان التربة المسنّدة هي دهنيّة ولها شبه خواصّ الاسفنج نعني انها تمتصّ المياه وتخزنها بدون فقدان شيء يذكر من تلاحم دقائقها . (الثاني) ان النفايات المتراكمة على الصعيد — وهي عبارة عن الاوراق وقُتف الاغصان الساقطة من ذاتها او بقوة الريح — تقي التربة شرّ المياه فهو لها بمثابة درع كثيف . ويفعل مثل فعلها الطحلبُ المغطّي لجذور الاشجار وللصخور ثم الاعشابُ الكثيرة المشتبك بعضها ببعض على سطح الارض او بجواره

فمن تروّى في اعتبار العوامل السابقة الذكر ادرك كلّ الادراك الخدم الجليلة التي تقوم بها الغابات خصوصاً ، والاشجار وسائر النباتات عموماً ، في ملافاة اضرار السيول الفادحة . ذلك ما حدا فرنسة سنة ١٨٦١ الى ان تعهد الى ادارة الاحراج — وهي من اهمّ فروع حكومتها — ببذل كل رخيص وغالٍ في تشجير الاصقاع الجبليّة

الجرداء باقرب وقت وباستخدام كل الوسائل الفنيَّة الضامنة لنجاح ذلك المشروع . ومن ذلك العهد الى يومنا نعني مدة نحو ٦٢ عاماً قد أتت تلك المساعي المتواصلة المقرونة بنفقات طائلة باشهى الثمار واعظم النتائج . فقد درأت عن جهات كثيرة مهدَّدة بالخراب العاجل آفات السيول الجارفة وجعلتها آهلةً بالسكان وغنيَّة بالاشجار وسائر المزروعات . وقد بلغ فنُّ ملاشاة السيول — او كما يقول الفرنسيون اطفاء السيول (extinction des torrents) — مبلغاً جعله في جملة الفنون الحديثة العهد التي سُجلت اصولها الاكيدة في مئات الكتب ، فلا صعوبة في تلقُّن تلك الاصول ، حتى ولا في العمل بها . اليك الآن بيان الوسائل الاربع الضرورية لملاشاة السيول ملاشاةً تامَّة ومضمونة النجاح :

﴿الوسيلة الاولى﴾ هي اقامة حاجز مستدير حول مصدر السيل . والغرض منه منع القطعان من رعي الاعشاب التي تقي الانحاء ، كما سبقت الاشارة ، وقايةً غير يسيرة من آفات المياه المطريَّة

﴿الوسيلة الثانية﴾ هي ان تُزرع تلك البقعة المصونة اشجاراً مناسبة للتربة والمناخ ثم ان تُلقى بين اغراس تلك الاشجار بذور اعشاب ونباتات عشبيَّة (herbacées) شتى

﴿الوسيلة الثالثة﴾ هي زرع شُجيرات عديدة وأدغال ذات جذور ليفيَّة على طول جانبي السيل ، فانها تحول دون انهيار تربتها بتأثير المياه الغزيرة المندفعة بسرعة شديدة من اعالي القمم

﴿الوسيلة الرابعة﴾ هي اقامة سدود من حجارة او من حُزَم حطب في عرض مجرى السيل لانقاص سرعة مياهه ولاسيما لتمنع رسوب ما تجرّه المياه من المواد الثقيلة كالصخور وما شاكلها

فبعد اجراء تلك العمليات الاربع لا يُخشى اقلُّ خطر من عتى السيول اذ تراها قد تحوَّلت بفضل ذلك الفن الجديد الغريب الى مجارٍ معتدلة السير صافية المياه خالية من قطع الصخور المضاهية في بعض الظروف لقذائف المدافع بما تحدثه من التدمير الشامل

امَّا نفقات هذه العمليَّات فليست مفرطة بالنظر الى عظيم فوائدها . كانت فرنسة

في اوائل هذا الجيل تُنفق نحو ٢٦٠ فرنكاً لتشجير كل هكتار ، وهو عبارة عن عشرة آلاف متر مربع ، و ١٠ فرنكات لاصلاح كل متر من مجرى السيل . هذا وثمن الارض المنوي تشجيرها كان في الغالب دون ٣٠٠ فرنكات عن كل هكتار

فبإقدام ادارة الغابات الفرنسية على هذه الاشغال الكبيرة والنفقات الطائلة في مجموعها ، قد خلصت من الدمار العاجل مساحات واسعة من المقاطعات الجبلية العديدة بل جعلتها شيئاً فشيئاً بلاداً خصبة غنية بزراعتها . ففي الاعتبارات والعبر المروية آنفاً موضوع تأمل مفيد لقرائنا اللبنانيين الشديدي الحرص على ترقية مستوى لبنان المادي والادبي . فنسأل المولى ان يرشدهم وسائر مواطنيهم الى انجع الوسائل لوقاية جبلهم المنيع العزيز من آفات السيول بل من كل انواع الشرور

الرسالة الحرفية

للسيد الشريف الجرجاني

توطئة

السيد علي بن محمد الجرجاني المعروف بالسيد الشريف اشتهر في العجم في النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة واوائل القرن التاسع (٧٧٩-٨١٦ هـ = ١٣٧٧-١٤١٣ م) وعلم مدة في شيراز وفيها توفي . له تآليف متعددة في العلوم الفلسفية والدينية والعربية نشر منها بالطبع كتابه « التعريفات » . ومما وقفنا له بين احد مجاميع مكتبتنا الشرقية رسالته الحرفية التي يشرح فيها معاني الحروف العربية على اختلاف اوضاعها واقترانها بالالفاظ المفردة والمركبة . منها نسخ شتى في خزائن الكتب الشرقية في اوربة ومصر والاستانة . ولعل نسختنا من اقدمها . وهي مكتوبة بقلم متوسط بين النسخي والفارسي في غاية الاتقان . والحروف مكتوبة بالحبر الاحمر مع خط احمر لكل مبنى من معانيها . وقد اكل الث الحرافيا وثقب اوساطها لقدمها . واذ لم نعرف منها نسخة مطبوعة احببنا نشرها افادة القرّاء واضفنا اليها بعض الحواشي زيادة للفائدة ودللنا على المعاني المختلفة بأرقام

ل . ش

﴿ الألف ﴾ في كلام العرب على اثنين وعشرين وجهاً : ١ الالف الاصل .